سَنَد
SANAD

الوطن

الوطن و الأمـــة

- هل حُبُّك لوطنك يتعارض مع تعاليم الدِّين ؟!
- هل الإهتمام بأمر المسلمين يتعارض مع انتمائك لوطنك؟!
- هل الوطن مُجرَّد "حفنة من تراب" ؟!
- هل الاهتمام بالوطن والحنين إليه جاهلية ؟!
- هل الأوطان صنعها الاستعمار ؟!

سلسلة تحريف وانتحال

براءة الإسلام ممّا يدّعيه المتشدّدون
من أنّ مصلحة الأمّة تتعارض مع مصلحة الأوطان

ع | مطوية رقم (١١) | مسلسل رقم (١١٦) ٢٠١٨

مُبادرات طابة
TABAH INITIATIVES

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه.

فطْرة الله

خلَقَ اللهُ سبحانه وتعالى الإنسان ببديع قُدْرته، وأودع فيه الفِطرة الإنسانية، وأودع في هذه الفطرة أصول القِيم العُليا والأخلاق السامية، على وجه التكريم والتمييز له عن غيره من المخلوقات، وهيَّأ الإنسان بهذه الأخلاق الفِطرية ليكون خليفة الله في أرضه، وجملة مُكوِّنات هذه الفِطرة -إن سلمت من المفسدات- هي جملة بناء الدِّين الحنيف، يقول جلَّ شأنه:

«فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ» [الروم: ٣٠]، ومِن هنا كانت الإنسانية قبل التديُّن.

الروابط والعلاقات الإنسانية فطرة إلهية:

ومما أكَّد عليه الإسلام من شئون هذه الفطرة معنى الروابط والعلاقات الإنسانية، ونقصد بها: صِلة الإنسان بالمكان والزمان والأشخاص في مدَّة عمره في الحياة الدنيا.

وقد رسم الإسلام للبشرية معالم سامية في إقامة شأن هذه الروابط بما يحفظها ويُقوِّيها ويُحقِّق مقاصد الحِكمة الإلهية في خَلْقها، مِن حيث كونها مرادًا لله تعالى في خَلْقِه لا مِن وَضْع البشر.

ونـزّل مـن التشـريعات مـا ينظـم تلـك الروابـط والعلاقـات وأوجـب لهـا حقوقًـا، وماترتّـب علـى ذلـك مـن الثـواب والعقاب.

هل الوطن مجرد "حفنة من تراب" كما يدّعون ؟؟!!

مفهوم الوطن:

(وط ن) : الوطـن مـكان الإنسـان ومقـرُّه، ونقصـد بـه مـنزل الإنسـان الـذي ارتضـاه محـلًّا لسـكنه ومعيشـته عـلى وجـه الاسـتقرار، وقـد يكـون وطـن الإنسـان هـو محـل مولـده، وقـد يكـون محـلًّا انتقـل إليه وعاش فيه مدة من الزمن حتى صار موطنه وبه يُعرف .

وهـو أيضًـا الأهـل والعشـيرة والقـوم والجـيران والأصدقـاء والأحباب...

بـل هـو شـعبٌ وحضـارةٌ وتاريـخٌ وانتصـاراتٌ وقضايـا، ورجـالٌ عباقرة صنعوا تاريخ هذا الوطن في شتَّى المجالات...

وهو مجموع المشاعر والذِّكريات التي يمرُّ بها الإنسان من حاصل التفاعلات والتعاملات مع ما سبق...

ولذلك فإن معنى الوطن معنًى مركَّب ومُتشابك ، ولا يصح اختزاله في بقعةٍ أو مكانٍ فيُقال: إنه (مجرد حفنة من تراب لا قيمة له).

فتجاهل كلِّ هذه المكوِّنات التي تصنع مفهوم الوطن واختزالها في حِفنة ترابٍ يُمثِّل عقوقًا فِطريًّا وفهمًا مشوَّهًا، وتحقيرًا لأمرٍ عظيمٍ؛ لذلك قيل: «**إذا أردتَ أن تعرفَ الرجلَ فانظر كيف تَحنُّنه إلى أوطانه**»[1]

مفاهيم مغلوطة، واعتراضات مردودة:

التيارات والجماعات الدينية المتشدِّدة ، ركَّزت مِن مدَّةٍ طويلةٍ -ولا زالت-على التنفير من مفهوم (الوطن والمواطنة)!!!

واعتبرت أنه يتعارض مع غايات الإسلام ومع الأمَّة الإسلامية الواحدة، وذلك حسب مفاهيمهم المغلوطة تجاه هذا الدِّين الحنيف وقواعده السامية.

مما جعل الشباب المتديِّن يعيش حالةً من الاضطراب في علاقته مع الأرض التي وُلد ونشأ فيها وانتمى إليها...

لإحساسه أنَّ هويته الدِّينية تفرض عليه التعلُّق و الانتماء إلى الرقعة الجغرافية الإسلامية الكبيرة، وتمنعه من التلبس بالهوية الوطنية.

وذلك بناء على أفكار ومفاهيم مغلوطة نتج عنها اعتراضات مردودة يتم نشرها والدعوة إليها.

(١) رواه الدِّينوري في كتاب "المجالسة وجواهر العلم" (رقم ٣٣٢) من طريق الأصمعي عن أعرابيٍّ.

اعتراضات المخالف والرد عليها:

لأصحاب الفكر المتشدد عِدَّة اعتراضات على مسألة حبِّ الوطن منها:

- إنَّ حُبَّ الوطن لم يُذكر في الشَّرع ولم يرد فيه نصٌّ!!
- إنَّ مفهوم الوطن يتعارض مع حبِّ الله ورسوله!!
- إن مفهوم حب الوطن فكرة جاهلية!!
- إنَّ الاوطان صنيعةٌ استعماريةٌ بهدف محاربة الإسلام!!

حُبُّ الوطن في الكتاب والسُّنَّة وعند علماء الأمَّة

القرآن يُشير إلى حبِّ الأوطان:

جاء في سِياق العديد من النصوص مفهوم التعلُّق والحبُّ للمَوْطِن، وأن مفارقة الأوطان مِن أصعب الأمور على النفس، وذكر القرآن ذلك على وجه الإقرار والتصديق، لا على وجه الذمِّ والمنع.

قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ...}[النساء: ٦٦] فجعل مفارقة الأوطان معادلةً لقتل النفس [١].

وقال تعالى: { وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...} [البقرة: ١٩١] فجعل مفارقة الأوطان المألوفة أشد البلاء [٢].

(١) انظر: "التفسير الكبير" للإمام الرازي (١٥/ ١٦٥).

(٢) انظر: "مرقاة المفاتيح" للملا علي القاري (٧/ ٥٨٢).

الدّفاع عن الأوطان جهادٌ في سبيل الله:

قال تعالى: {قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} [البقرة: ٢٤٦]. (فجعل الإخراج من الدِّيار (الوطن) من أسباب القتال في سبيل الله)، والقرآن الكريم أقرَّ قولهم ولم يعب عليهم ذلك ولم يُنكره.

جعل الشارع مفارقة الأوطان من العقوبات والتأديب للمجرمين:

قال عزَّ وجلَّ عن المحاربين وقُطَّاع الطُّرق: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أو يُصَلَّبُواْ أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أو يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ} [المائدة:٣٣].

قال الإمام الشافعي: يكفيه مفارقة الوطن والعشيرة خُذلانًا وذُلًّا.

وعاقب الله بني إسرائيل بأن جعلهم يتيهون في الأرض بلا وطن، أربعين سنة عقوبة لهم: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [المائدة: ٢٦].

ففراق الوطن عند العقلاء أمرٌ صعبٌ جدًّا، يساوي ألم قتل النفس، وهو مِن أشد العقوبات عليها، مما يدل على أنَّ حبَّ الوطن والتعلُّق به أمرٌ عميقٌ في النفس.

حب الوطن في السنة النبوية:

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قدم من سفر فرأى جُدُرات المدينة أوضع ناقته، -أي أسرع بها- وإن كانت دابَّة حرَّكها. أي حرَّك دابَّته بسبب حُبِّه المدينة. وقال الحافظ ابن حجر: «فيه دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حبِّ الوطن، والحنين إليه[1].

في قصة بداية نزول القرآن على النبي ﷺ وذهابه إلى ورقة بن نوفل، وقول ورقة للنبيِّ ﷺ: ليتني أكون معك إذ يُخرجك قومك، فقال ﷺ: (أوَ مخرجي هُمْ؟) [2]. (يقول السهيلي: يؤخذ منه شدَّة مفارقة الوطن على النفس، فإنه - صلى الله عليه وسلم - سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذِّبونه فلم يظهر منه انزعاجٌ لذلك، فلما ذكر له الإخراج تحرَّكت نفسه لذلك، لحبِّ الوطن وإلْفه!!)

حب الوطن عند العلماء والصلحاء:

للعلماء كثير من النقول والتقريرات عن اعتبار حبِّ الوطن والتعلُّق به، وتقدَّم كلام الحافظ ابن حجرٍ والسهيليِّ، بل ذهب الفقهاء إلى تعليل حِكْمة الحجِّ وعظمة ثوابه إلى أنه يهذب النفس بفراق الأوطان والخروج عن المألوف، قال الإمام القرافي: **[«ومصالح الحج تأديب النفس لمفارقة الأوطان»]** [3] ولم يزل دأب الصالحين محبة الأوطان .

(١) "صحيح البخاري" (رقم ١٨٠٢) [كتاب الحج]، وانظر "فتح الباري" لابن حجر (٣/ ٦٢١).

(٢) متفقٌ عليه؛ أخرجه البخاريُّ (رقم ٣) [بدء الوحي]، ومسلمٌ (رقم ١٦٠) [كتاب الإيمان]، وغيرهما من حديث السيِّدة عائشة رضي الله عنها. وانظر "فتح الباري" لابن حجر (١٢/ ٣٥٩).

(٣) "الذخيرة للقرافي" (١٩٤/٣)

حتى لقد روى عن سيِّد الزهَّاد والعُبَّاد إبراهيم بن أدهم أنه قال: «ما قاسيتُ فيما تركتُ شيئًا أشد عليَّ مِن مفارقة الأوطان»(٤).

ولم يزل حب الأوطان يستفيض عند الأقدمين وتتسع مادَّة الكلام فيه حتى أُفرد بالتآليف: فألَّف الجاحظ كتاب "حب الوطن"، وألَّف السمعاني "النزوع إلى الأوطان"، ولأبي حاتم السجستاني كتاب "الشوق إلى الأوطان" ولأبي حَيَّان التوحيدي كتاب "الحنين إلى الأوطان" وغيرهم كثير ممن ألَّف في هذا المعنى من المتقدِّمين والمتأخِّرين.

لا تعارض بين حبّ الله ورسوله وحبّ الوطن

حبُّ الوطن فطرةٌ، وكما أنَّ حبَّ الأهل والآباء والأولاد لا يتعارض مع حبِّ الله ورسوله بل ينتظم وينبني على محبَّة الله ورسوله فكذلك حب الوطن.

وقد استدلوا بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: ٢٤].

وهذه الآية جعلها المخالف -تبعًا لفكره- دليلًا على ذمِّ التعلق بالوطن، وقالوا «إنَّ الوطن هو : «مساكن ترضونها».

في حين أنها دليل عليهم لا لهم ودليل على حبِّ الوطن والتعلُّق به ، نعم نوافقهم على أنَّ الوطن هو «مساكن ترضونها» ولكن نخالفهم في فهمهم.

(٤) "حلية الأولياء" لأبي نعيم (٧/ ٣٨٠) [ترجمة إبراهيم بن أدهم].

فـإنَّ الحـقَّ سـبحانه ذكـر الأوطـان «مسـاكن ترضونهـا» في سـياقٍ واحـد مـع «الآبـاء والأبنـاء ...» مـن حيـث إنَّ حبَّهـم مِـن فطـرة اللـه ورتَّـب عـلى ذلـك حقوقًـا في الـشرع مَـن حَفِظَهـا فقـط أطـاع اللـه ورسـوله، ومَـن ضَيَّعهـا فقـد عـصى اللـه ورسـوله. وإنمـا الـذمُّ هنـا إيثار ذلك على الله ورسوله.

فمـن قـدَّم عـلى اللـه ورسـوله أحـدًا مِـن آبـاء أو أولاد أو أوطـان فهو محل الذم، لا مطلق الارتباط والتعلُّق.. فافهم!!

حب الوطن فطرة إنسانية لا عادة جاهلية

ومـن أقبـح مـا طُـرح في ردِّ معـنى حـبِّ الوطـن هـو القـول بـأنَّ (حـب الوطـن) فكـرة جاهليـة، وكأن المنطـوي عـلى هـذا المعـنى قـد أتى ببعـض أفعـال أو أخـلاق الجاهليـة، وقـد ثبـت وعرفنـا أنَّ حـب الوطـن فطـرةٌ، وأنـه في جبلَّـة كلِّ إنسـانٍ بمـا فيهـم الأنبيـاء والعلمـاء والصلحـاء، فضـلًا عـن غيرهـم، فالقائـل بـأن حـبَّ الوطـن مـن الجاهليـة كأنـه اتهـم كلَّ أؤلئـك بتلبُّسـهم بتلـك المذمَّـة ولا يُدفـع ذلـك بالقـول بـأنَّ الـذم يقـع عـلى مـن استسـلم لهـذا المعـنى لا مـن جاهـد وردَّ الانصيـاع لـه، لأنَّـا نقـول بـأنَّ أصحـاب القَـدَم الراسـخ في العِلـم والإيمـان -وخصوصًـا الأنبيـاء- لا ينطـوي الواحـد منهـم عـلى شيءٍ مـن أفكار الجاهلية.

الاستعمار صنع حدودًا ولم يصنع أوطانًا

يرى المتشدِّدون أنَّ الأوطان اليوم هي نتيجة لتقسيم الاستعمار لأراضي الأمة الإسلامية.

وهذا فكرٌ قاصرٌ ؛ حيث إنَّ هذه البلاد لم يُنشئها الاستعمار، والتقسيم ورَسْم الحدود لم يُغيِّر أو يُجدِّد العلاقة أو الرابطة بين الفرد ووطنه، وإن كان له تأثير على حركة المسلم وانتقاله بين الدول الإسلامية والعربية.

أمَّا الدول والإمارات والولايات من الوجهة السياسية فإنها قديمة في تاريخ المسلمين، وقد نشأت دول كبرى ثم تفرَّقت لدُويلات ثم توحَّدت وتفرَّقت وهكذا ولم يكن آنذاك مستعمر ولا طرف خارجي له يد في تقسيم تلك البلاد.

وما نؤكِّد عليه هنا هو عدم التعارض بين أن تكون هذه البلاد داخل حدود سياسية واحدة أو غير ذلك، فنسبة الرجل لوطنه ووجود معنى التعلق والارتباط بالوطن والوفاء والخدمة له ولأهله لا تتعارض بحال مع انتمائه لأُمَّته وإسلامه.

أصالة مفهوم المواطنة والوطنية

المواطنة: يقصد بها: الحقوق والواجبات المترتبة على كون الإنسان فردا من أفراد الوطن، والتي يتساوى فيها الجميع بدون تمييز سواء على أساس الدِّين أو اللُّغة أو العنصر أو الجنس.

الأمر الذي يقتضي أن تذوب كل خلافاتهم واختلافاتهم عند حدود المشاركة والتعاون في بناء الوطن وتنميته والحفاظ على العيش المشترك فيه.

وهو كاصطلاح ظهر حديثًا، أما كمعنى وممارسة فعلية على الأرض فإنه موجودٌ منذ عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومنصوص عليه من جملة الهدي النبوي وقد جاء في وثيقة المدينة المنورة أن «يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم». فتأمَّل !!!

نتائج الفهم السقيم لمعنى الوطن، والوطنية

كراهية الوطن:

بحُجَّة أنه سبب تفريق المسلمين، وأنه معارض لحب الله ورسوله، ومخالف للشرع.

عدم الالتزامات بالواجبات الوطنية:

بحُجَّة أنه ليس الوطن المنشود، فلا يهتم ببنائه ولا عمارته!!

عدم المحافظة على وحدة الوطن:

فهو لا يقيم له وزنًا، وبدلا من أن يساعد في وجود وطنٍ متحد وقويٍّ، يسعى لهدمه وتدميره ليبني ما يتوهَّمه هو من وطن!!

الولاء لدول أو جماعات فكرية أخرى:

يرى أنها الأصلح لقيادة زمام المسلمين.

الخلاصـــــــــة:

١ حبُّ الوطن فِطرةٌ إلهية فطر الإنسان عليها.

٢ حبُّ الوطن أشار إليه القرآن الكريم، وبيَّنته السُّنة، وامتلأت به حياة العلماء والصلحاء والأدباء وغيرهم.

٣ الوطن عبارة عن مجموعة مركَّبه ومتشابكة من العلاقات والمشاعر، ولا يصح اختزاله أبداً في قولهم (مجرد حفنة من تراب).

٤ حب الوطن من حبِّ الله ورسوله ولا تعارض بينهما إلا في عقل المتشدِّد، وهو كحبِّ الأهل والعشيرة، وليس هو من كلام الجاهلية في شيء، وليس بديلًا عن أخوة الإسلام، وإنما هي دوائر متداخلة لا متعارضة.

٥ المواطنة لها حقوق أقرَّها النبي ﷺ كما في وثيقة المدينة المنورة.

٦ القول بأن حب الوطن يتعارض مع حب الله ومخالف للإسلام له خطورة كبيرة على شخصية الإنسان لما يُحدثه من تشتُّتٍ وتصارع بين الفطرة وإطاعة هذه الأفكار المنسوبة زورًا إلى الإسلام، وله خطورة على الأوطان لأنه ينتج إنسانًا لا يدافع عن أرضه ومستعد لبيع وخيانة وطنه فهو لا ينتمي إليه، ولا يحرص عليه، بل ولا يريد له التقدُّم والازدهار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأخيرًا....

حب الوطن والحفاظ عليه وتنميته أول خطوة في بناء الأمة لو كانوا يفقهون....

تداخل.... وليس تعارض

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
مبادرة سند هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات

www.sanad.network
facebook.com/sanadnetwork
twitter: @sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork
instagram.com/sanadnetwork